مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلـد 5 العـدد 2 / ديسمـبر 2019
ص ص: 80-92

القيم الثقافية في الاسرة وتعزيز الهوية الوطنية في ظل العولمة

Cultural & Family Values & Promoting National Identity in the Context of Globalization

علي شبيطة

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)، achebita@gmail.com

الاستلام:2018/10/27 القبول:2019/11/27 النشر:2019/12/31

الملخص:

مما لا يختلف فيه اثنان وحاصل حوله إجماع بان الأسرة هي النواة الأولى التي ينبت فيها الفرد وتتشكل شخصيته وتبنى أفكاره وتصنع توجهاته , من خلال تشريبه لمختلف القيم والأنماط الثقافية التي يتبناها المجتمع لأجل التماسك والاستمرار والتقدم و الريادة والأمن, باستعمال آليات ووسائل مختلفة تجعل من الفرد والأسرة محافظين على القيم التي تميز المجتمع ومن ثم المحافظة على أمنه واستقراره, ولكل مرحلة من مراحل الحياة أساليب ومنهجيات تتبعها الأسرة لتحقيق ما سبق, حيث أنها وإلى وقت قريب كانت لها أنماط و وظائف وآليات في تحقيق تنشئة اجتماعية وثقافية مكنتها من تعزيز أمنها داخليا وخارجيا، ولكن التغيرات الحاصلة في أنماط تشكل الأسرة ودورها في ظل التغيرات الحاصلة نتيجة العولمة الثقافية والمعرفية والإعلامية والتكنولوجية ,التي أثرت على الأدوار الجوهرية, وغيرت بنيتها الاجتماعية والثقافية, الأمر الذي يحتم عليها الاعتماد على تحصين بنيتها الثقافية ومحاولة ترميم الهشاشة القيمية (دينية, ثقافية, أخلاقية, اجتماعية) التي أصابتها نتيجة قوة تدفق القيم الثقافية العالمية والتأثير عليها في جوانب مختلفة, انطلاقا من هذا التوصيف لراهن القيم الثقافية في الأسرة ودورها وأهميتها في تعزيز الهوية الوطنية ومآلاتها, يدعونا من خلال هذه الورقة البحثية إلى الإستقصاء والبحث فيما مدى فعالية تثبيت القيم الثقافية للأسرة في مجتمعنا لتعزيز هويتنا الوطنية من خلال تأمينها دينيا, أخلاقيا, ثقافيا, في ظل هيمنة العولمة وسيطرتها على مختلف مناحي الحياة؟ وكيف تنعكس مختلف مضامين العولمة على الهوية الثقافية للناشئة ؟

الكلمات المفتاحية : الأسرة، الأمن الثقافي , الهوية الثقافية , القيم الثقافية ، العولمة .

المؤلف المرسل: علي شبيطة، **الايميل:** achebita@gmail.com

Abstract :

The family is the first nucleus in which the individual grows and his personality is formed and his ideas are adopted and his orientations are made, through impregnation of the various cultural values and patterns adopted by society for the sake of cohesion and continuity and progress and leadership and security, using different mechanisms and means that make the individual and the family maintain the values that distinguish society and then maintain On its security and stability, and for each stage of life, methods and methodologies used by the family to achieve the above, as they and until recently had patterns, functions and mechanisms in achieving social and cultural formation that enabled them to enhance their security internally and externally, but the changes that occur in Patterns of family formation and its role in light of the changes taking place as a result of the cultural, knowledge, media and technological globalization that affected the fundamental roles and changed their social and cultural structures, which necessitates relying on fortifying their cultural structure and trying to restore the value fragility (religious, cultural, ethical, social) that it afflicted As a result of the strong flow of global cultural values and their influence on various aspects, starting from this characterization of the current cultural values in the family, its role and importance in promoting the national identity and its destinies, we call us through this research paper to investigate and research what What is the effectiveness of affirming the cultural values of the family in our society in order to enhance our national identity by securing it religiously, morally and culturally, in light of the globalization's dominance and its control over various aspects of life? How are the various implications of globalization reflected on the cultural identity of the young?

Key words: family, cultural security, cultural identity, cultural values, globalization.

مـــقدمـــة

تعتبر الاسرة المحضن الثقافي والقيمي لتعزيز الهوية الوطنية وترسيخها وتثبيتها, من خلال تنشئة الأفراد عليها , حيث أن القيم الثقافية التي تساهم وتعزز الهوية الوطنية هي مجموعة الاعراف والعادات والتقاليد والمبادئ كالدين واللغة والثقافة في عمومها اي التي تميز المجتمع عن غيره من المجتمعات, وذلك لن ياتي الا باتباع اليات وميكانيزمات عصرية في تنشئة الافراد في ظل الانفتاح الثقافي والاعلامي والمعلوماتي حيث أصبح العالم بيت بدل ما كان يسمى قرية في القرن العشرين وتحاول كل ثقافة ان تسيطر وتهيمن على الافراد , وتذويب الثقافات الاخرى فيها, وهذا ما تسعى اليه الدول

المسيطرة على العالم وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية من خلال السعي إلى إضعاف الثقافات المحلية ومحاولة تفتيتها وجعلها هشة غير قادرة على مواجهة الثقافات الدخيلة عليها بفعل العولمة الثقافية بمختلف أشكالها وأبعادها متبعة في ذلك التشكيك في المحلي والانبهار بالوافد الجديد على انه عالمي وقادر على مسايرة التطورات الحاصلة في العالم, وهو ما يؤذي طبعا في النهاية إلى طمس الهوية الوطنية وتذويبها في الهويات الوافدة التي لا جنس ولا لون لها , لذلك لا يمكن ان نقف في وجه هذا المد الثقافي الوافد الذي يحاول سلخ المجتمع من قيمه الثقافية الأصيلة وفسخ هويته إلا بتثبيت القيم الثقافية في الاسرة باعتبارها المحضن الأول ومن ثم تعزيز الهوية الوطنية بمختلف أبعادها وصورها , وهذا لا يمنع الانفتاح على

العوالم الثقافية الأخرى والأخذ منها بما يتماشى ولا يتنافى مع بيئتنا الثقافية والقيمية والاجتماعية .

1/الاسرة والوظيفة الثقافية:

لا يختلف إثنان كما ذكرنا سابقا إعتبار الأسرة هي البيئة السوسيوثقافية والتربوية لتنشئة الأفراد وتشريبهم القيم الثقافية التي يتبناها المجتمع لأجل ديمومته والمحافظة على هويته المحلية.

مفهوم الأسرة: الأسرة مأخودة من الأسر وهي القوة والشدة لذلك تفسر بأنها الدرع الحصينة, لأن أعضاء الأسرة يشد بعضهم بعضا, وتقوم الأسرة على أساس شرط الزواج الذي يمنح هذه العلاقة طابعها الشرعي, فهي جماعة إجتماعية تربط أفرادها روابط الدم والزاج, يعيشون في ظلها حياة اجتماعية واقتصادية واحدة تجعلهم ملزمين بجملة من الحقوق والواجبات[1], بالإضافة إلى أن الأسرة هي إنتاج اجتماعي يعكس صورة المجتمع الذي تظهر وتتطور فيه بحيث إذا كان هذا المجتمع يمتاز بالثبات , امتازت هي الأخرى بذلك, والعكس صحيح, فهي تتغير وفق تغير المجتمع وظروفه ومنه يمكن القول بأن الأسرة عبارة عن نظام إجتماعي هام, يعتمد في وجوده على عوامل بيولوجية ضرورية, تتدخل النظم الاجتماعية في توجيهها وتعديلها, وفق خصائص يتبناها كل مجتمع لنفسه, وهذا حسب المرحلة التاريخية التي مر بها

[1] كلثوم بيبيمون: الأسرة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية بين ضرورة التأصيل وأولويات التغيير, مجلة العلوم الإنسانية والعدد 29 , جامعة منتوري قسنطينة جوان 2008 صفحة 192

والتحولات التي يعيشها[1] ولا ننفي العلاقة الجدلية بين الأسرة والمجتمع من حيث التأثير والتأثر بينهما ويعود ذلك في كثير من الأحيان لشكل الأسرة وطبيعتها أو خصائصها, لأن أشكال الأسرة في مجتمعاتنا العربية ومنها الجزائر على الخصوص يتضمن شكلين أساسيين وهما الأسرة الممتدة, والأسرة الزواجية (النووية) ولكل من هذين الشكلين خصائص تميزهما, وهذه الخصائص هي التي تصنع التأثير في المجتمع .

فالأسرة الممتدة كانت ناجحة إلى حد بعيد في أدوارها المختلفة ومنه الدور التنشئوي والمتمثل في تشريب الفرد لثقافته الأصيلة وتثبيتها في عمقه النفسي والشخصي والوجداني, حيث لم تستطيع أعتى قوة عالمية في القرن العشرين من التأثير والتغيير على مستوى البنية الثقافية للأسرة والمجتمع على حد سواء وذلك يعود لقوة وصلابة القيم الثقافية التي تميزهما, عكس ماهو حاصل في الأسرة اليوم بشكلها الجديد وهو الأسرة الزواجية أو النووية التي رغم التغير الحاصل فيها ومواكبتها للتطورات الحاصلة في العالم إلا أنها لم تنجح في تحقيق تنشئة اجتماعية سليمة ويظهر ذلك من خلال هشاشة البنية الثقافية لأفراد المجتمع وانسلاخهم من القيم الثقافية الأصيلة التي يتبناها مجتمعهم ومحاولة ارتمائهم في أحضان الثقافة الغربية المبنية على المادة, الأمر الذي يحتم علينا مراجعة اللآليات والكيفيات والمعايير التي يجب إتباعها وتبنيها في تنشئة الأفراد وترسيخ قيم الثقافة الأصيلة التي تعبر عن الهوية الوطنية لأنها الأساس الذي يبني وينمي روح المواطنة لدى الناشئة من طرف الأسرة , فالأسرة الجزائرية اليوم على اختلاف منشئها ريفية أو حضرية هي أسرة نووية لكن غلبت عليها سمات الأسرة الغربية التي تدعم القيم الفردانية المستمدة من النمط الرأسمالي الذي أنتج هشاشة على مستوى البناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية, من خلال تضارب المصالح بين أفرادها وخاصة في مجتمع له خصائص وقيم ثقافية تميزه.

فالأسرة من حيث المفهوم والدور والوظيفة بقيت لها معنى واحد رغم التحولات والتغيرات العميقة التي شهدتها المجتمعات في العالم المعاصر, فهي تشكل الوحدة الاساسية في البناء الاجتماعي وتقوم بأداء وظائف عديدة ومتنوعة في آنٍ واحد منها ما يتعلق بالوظائف الاجتماعية والحفاظ عليها ومن ثم الحفاظ على النوع البشري من

[1] مسعودة كسال: مفهوم الأسرة في المجمع الجزائري ما بين 1980-1990 مجلة علم الإجتماع العدد 5, جامعة الجزائر -192-1993- ص39.

الناحية البيولوجية والثقافية ومنها ما يخص توفير السند العاطفي الاقتصادي الذي لا غنى عنه لنمو وتطور أفرادها ومشاركتهم في حياة المجتمع كأعضاء فاعلين.... كما تمثل من جهة ثانية الوعاء الحافظ للثقافة بكل مكوناتها المادية والغير مادية, وتقوم بنقلها من جيل إلى جيل عبر التاريخ موفرة بذلك فرص التواصل الاجتماعي والثقافي بين الأجيال والمجتمعات.[1]

2 / القيم الثقافية:

القيم الثقافية هي تعبير عن خصوصية الفرد والمجتمع وهويته, فالثقافة هي المعبر الأصلي عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم, وعن نظرة هذه الأمة الى الكون والحياة والموت, والإنسان , ومهامه وقدراته وحدوده وما ينبغي أن يعمل ومالا ينبغي .... وهذا يعني حسب بض الآراء بأنه ليست هناك ثقافة عالمية واحدة وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام, وإنما وجدت, وتوجد وستوجد ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية و بتدخل إرادي من أهلها في الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة من هذه الثقافات ما يميل الى الانغلاق والانكماش ومنها ما يسعى إلى الانتشار والتوسع, ومنها ما ينعزل حينا وينتشر حينا آخر[2].

فالقيم مفهوم يذل على مجموعة من التصورات والمفاهيم التي تكون إطارا للمعايير والأحكام والمثل والمعتقدات والتفضيلات التي تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والجماعية, بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته ويراها جديرة بتوظيف إمكانياته وتتجسد من خلال الاهتمامات او الاتجاهات او السلوك العملي او اللفظي بطريقة مباشرة او غير مباشرة[3]

فالقيم هي التي تنتج شخصية الفرد وتقوي الرباط الاجتماعي وبناءه وتعزز البنية الثقافية للفرد والمجتمع على حد سواء فقدرة مؤسسات التنشئة الاجتماعية على تشريب مختلف القيم الثقافية التي تبناها المجتمع للفرد , وفي مقدمتها الأسرة باعتبارها

1 العياشي عنصر: الأسرة في الوطن العربي آفاق التحول من الابوية الى الشراكة , مجلة عالم الفكر, المجلد 36, العدد 3 يناير – مارس2008 , ص 281.

2 محمد بوراكو: القيم الثقافية وإشكالية الهوية الوطنية في الجزائر بعد الإستقلال, اطروحة دكتوراه غير منشورة, جامعة الجزائر, 2003/2002،ص10.

3 محمد عبد الرزاق ابراهيم, هاني محمد يونس موسى: القيم لدى شباب الجامعة في مصر ومتغيرات القرن 21 , بحث مقدم في كلية التربية جامعة بنها , مصر, د.ت. ص 04.

النواة الأول التي يتربى فيها الفرد فتتكون شخصيته, فالقيم الثقافية هي التي تحفظ الفرد من الذوبان في الثقافات الأخرى بل يؤثر بثقافته في الآخر ويظهر هويته وأبعادها الاجتماعية والثقافية.

يعتبر مفهوم القيم من بين أكثر المفاهيم في العلوم الاجتماعية غموض وارتباطه بعدد كبير من المفاهيم الأخرى كالاتجاهات والدوافع والرغبات... ويرجع هذا الغموض إلى أن المصطلح مرتبط بالتراث الفلسفي من جهة ويقع على أرض مشتركة بين مجموعة من العلوم والمعارف من جهة أخرى.... فالقيم الحقيقية الوحيدة بنظر عالم الإجتماع هي دائما قيم مجتمع مخصوص، أنها المثل التي تتخدها جماعة من الجماعات وتنتسب اليها فالقيم والحالة هذه خاصة بمجتمع بعينه وبفترة زمنية تاريخية , لأن القيم تتغير في الزمان، تتغير من مجتمع لآخر لذلك هي نسبية وهي تتضمن بالإضافة الى ذلك شحنة انفصالية, وتستدعي انتماء عاطفي وأحاسيس قوية , هذه الشحنة من الحساسية هي التي تفسر الثبات النسبي للقيم عبر الزمن وهي التي تفسر المقاومة التي فيها عموما تغير القيمة وتبدلها داخل أي مجتمع من المجتمعات[1] فالمفهوم الغربي للقيم يكاد يكون منزوع من الجوانب النفسية والعقدية التي يستند عليها المجتمع العربي في صيانته لمفهوم القيمة وخاصة منها القيم الثقافية التي تكون هي الموجه والضابط لسلوك الفرد في المجتمع, لذلك نجد عدد من علماء الاجتماع العرب خلصوا إلى اعتبار القيم مجموعة من المعتقدات التي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي والتي تمثل موجهات للأشخاص نحو غايات أو وسائل لتحقيقها, أو أنماط سلوكية يختارها ويفضلها هؤلاء الأشخاص بديلا لغيرها وتنشئ هذه الموجهات عن تفاعل بين الشخصية والواقع الإجتماعي والاقتصادي والثقافي، هي تفصح عمن نفسها في المواقف والاتجاهات والسلوك اللفظي والسلوك الفعلي والعواطف التي يكونها الأفراد نحو موضوعات معينة [2] فالقيم الثقافية في المجتمع العربي عموما والجزائري خصوصا مبنية انطلاقا من التشريع الرباني المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة , الذي رسم حدود العلاقة بين البشر ونظم حياتهم وفق ما يحفظ النظام العام للأفراد والجماعات ويبني

[1] عبد الغاني عماد: سوسيولوجيا الثقافة, مركز دراسات الوحدة العربية بيروت, لبنان, 2006, ص140-141.

[2] نفس المرجع, صفحة 142-143.

الإنسان بناء متوازنا بين المادة والروح هذه التشريعات التي أساسها الأخلاق وهذا ما أكده سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق فالقيم في المجتمع الإسلامي تبقى ثابتة في جوهرها وإنما الذي يتغير هو الكيفيات والمناهج المساعدة على تثبيتها حسب المكان والزمان من خلال التغيرات الحاصلة في المجتمعات اليوم والمتمثلة في العولمة والتي تعني في مضمونها الهيمنة والسيطرة وطمس القيم الثقافية للمسيطر عليهم أو المغلوبين, لذلك نجد الآن من بين أهداف النظام العولمي وضع مناهج واستراتيجيات لمحاربة القيم الثقافية التي تحمل في طياتها ومضمونها غايات تربوية وإنسانية سامية ومنها القيم الإسلامية في المجتمعات العربية, فهي تحاربهم بكل الوسائل وتحت مسميات مختلفة, الإرهاب, الربيع العربي لضرب استقرار هذه المجتمعات و تحطيم بنيتها السياسية و الاجتماعية والثقافية والدينية, لذلك يتحتم علينا أن نحافظ على البناء الاجتماعي لمنظومتنا الاجتماعية حتى نتمكن من المحافظة والرقي بالبنية الثقافية لمجتمعاتنا التي أصابها نوع من الهشاشة المتمثلة في التخلي عن الكثير من قيمنا الأصيلة وتثمين القيم الثقافية الوافدة من المجتمعات الغربية والإشادة بها من طرف شبابنا من خلال مجموعة من السلوكات التي تعبر عن ذلك , ولا ترمز بأي صلة إلى ثقافتنا المحلية التي تعبر عن هويتنا الوطنية.

وتثمين القيم الثقافية الوافدة من المجتمعات الغربية والإشادة بها من طرف شبابنا من خلال مجموعة من السلوكات التي تعبر عن ذلك , ولا ترمز بأي صلة إلى ثقافتنا المحلية التي تعبر عن هويتنا الوطنية.

تعد القيم الدليل على إنسانية الإنسان وحدى ارتباطه بالحق, والعدل, وعلى أساس القيم البشرية في مجتمع ما , أو حضارة ما يمكن الحكم عليها وعلى درجة رقيها وتمدنها[1].

العولمة: هي مفهوم نظري يعبر عن توجه إيديولوجي إمبريالي يعكس إرادة مركزية للاستقطاب وبسط الهيمنة الكلية على العالم بأسره من خلال التبشير والدعوة إلى تبني نموذج حضاري محدد, وإرساء هذا النموذج وتكريسه باستخدام مختلف الآليات السياسية والإقتصادية والثقافية, ولعل ما يساعد في بلورة هذا المشروع الغربي الأمريكي هي الإمكانيات اللامحدودة التي لم تعرف البشرية نظيرا لها على مدى تاريخها خصوصا

[1] عمر بوساحة : العولمة الثقافية المفهوم والتحديات, أشرعة النور, الجزائر 2012, ص 31.

عندما آزرته ثورة الإتصالات والمعلومات المتمثلة في القنوات الفضائية وشبكة الأنترنت, وأجهزة الهاتف النقال, وما تنقله من معارف ومعلومات وأفكارّ, مما يصعب حصره, بل تحديه ومجابهته, ونحن على هذا المستوى من الحيرة والذهول[1], فما يجب علينا ونحن نعيش هذا الوضع الموحش والذي يسعى للانقضاض علينا وإخراجنا من حلبة التاريخ وتهميش قيمنا الثقافية والحضارية ومن ثم طمس هويتنا الوطنية, أن نقف متمعنين مراجعين الآليات والميكانزمات والاستراتيجيات المنهجية التي ترسم الغايات والمرامي والأهداف التي يسعى مجتمعنا لتحقيقها والوصول إليها لمجابهة التحديات التي تفرضها العولمة وثقافتها في إطار مؤسسات التنشئة الاجتماعية وفي مقدمتها الأسرة , وهذا ما ركزت عليه العولمة لبسط نفوذها بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية, من خلال الهيمنة الثقافية وما للولايات المتحدة الأمريكية من دور في هذه الهيمنة من خلال وكالة التنمية الدولية والشركات متعددة الجنسيات التي تعمل على تقديم الأموال والخبرات اللازمة لدعم البحوث والمراكز العلمية والتعليمية في بلدان العالم الثالث والتي تخدم في النهاية الأغراض الأمريكية وتحقق لها أكبر قدر من المصالح والمكاسب وذلك من خلال التركيز على ثلاثة أهداف:

1/ خلق كوادر علمية من الوطنيين في هذه البلدان يكون ولاؤهم للولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ولائهم لبلدانهم.

2/ ربط النظام التعليمي في هذه البلدات بالنظام المتبع في الولايات المتحدة, وذلك من خلال وجود مجموعة من خبراء البحث يساهمون في رسم سياساتهم العامة ووضع المناهج ونظم التدريس التي تكفل ضياع الهوية الوطنية القومية وتحقيق الغربة الثقافية والحضارية والتبعية الفكرية التامة للنموذج الغربي الأمريكي.

3/ سحق المفكرين والقادة الوطنيين في الدول النامية والذين يسعون للخروج من دائرة الهيمنة الأمريكية لأنهم يشكلون خطر على المصالح الغربية في بلدانهم[2], فهي آليات منهجية لتحقيق استراتيجيات وأهداف مسطرة وهي الهيمنة الثقافية على العالم وإفراغ

[1] نفس المرجع: صفحة 06-07.

[2] هربرت شيلر: ترجمة روجيه سمعان عبد المسيح, الاتصال والهوية الثقافية , الهيئة المصرية العامة للكتاب, مصر 2007 ص 10-11

المجتمعات المحلية من القيم الثقافية التي تميزها بالتركيز أساسا على الأسرة والمدرسة والإعلام الذي يلعب الدور الجوهري في تحقيق طموحات وأهداف العولمة.

فالعولمة تجمع في ديناميتها باعتبارها سيرورة تاريخية بين عمليتين متناقضتين لكنهما متكاملتين الاندماج والتفكك ، في البداية برزت عملية الاندماج من خلال توسيع السوق العالمية مجسدة في الشكل الاقتصادية للعولمة حيث جرى إدماج الأسواق المحلية لرأس المال والسلع والمنتوجات والمعلومات والأفراد في سوق عالمية تتسع وتتعقد باستمرار ولكن هذه العملية ذاتها كانت وراء حدوث استقطاب متزايد على مستوى كوني بين الدول والمناطق الفقيرة كما أدى إلى التساؤل عن جدوى وفعالية نموذج الحكومة العالمية المنبثقة عن اتفاقيات ما بعد الحرب العالمية الثانية كما تجسدها المؤسسات المالية والنقدية والتجارية مثل صندوق النقد الدولي والبنك العالمي ومنظمة التجارة العالمية, وهذا حسب الباحثين حسن حنفي وجلال العظم صادق[1] فعلينا أن ندرك أن العولمة هي غول يريد أن يقضي على كل من يخالفه لذلك فلا خلاف أن الآثار السلبية وتهديدات العولمة ومخاطرها كثيرة ومتنوعة , يكفي تقديم نماذج مثل تهديد الخصوصية الثقافية, وطمس هويات البلدان الضعيفة بخاصة, وتعريض اقتصاداتها لتقلبات وأزمات مستمرة وتحقيق مصالح الأقوياء على حساب الضعفاء وسيادة أخلاق الربح , وغلبة القيم المادية على كل الإعتبارات الإنسانية والأخلاقية فضلا عن اخضاع الإنسان عموما لمنطق التقنية وجعله تابعا لها وفي خدمتها أو الإنسان ذو البعد الواحد بتعبير هربرت ماركوز بالإضافة إلى تمركز الثروة بشكل غير مسبوق بيد أقليات متنفذة في البلدان المتقدمة ما جعلها تشكل طبقات جديدة من التكنوقراطية الحديثة [2] فالعولمة تحمل في ظاهرها بريق الحضارة والتكنولوجيا والرقي ، وفي باطنها الهيمنة في كل المجالات بالإضافة إلى تفكيك وطمس القيم الثقافية المحلية الأمر الذي يدفعنا إلى التفكير مليا في الآليات التي نترصد بها لهذه الآفة المبيدة للشعوب والأمم ولا شك بأن الحفاظ على هويتنا لن يكون إلا بتثبيت قيمنا الثقافية وتعزيزها من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية وفي مقدمتها الأسرة والمدرسة والإعلام.

[1] العياشي عنصر: اشكالية المواطنة والعولمة , دفاتر البحوث العلمية, العدد4, 2014, ص22

[2] نفس المرجع ص25

3/ الهوية الوطنية وتجلياتها:

يمكن تعريف الهوية بأنها الشفرة التي يمكن للفرد أن يعرف عن طريقها نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها, والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون بإعتباره منتميا إلى تلك الجماعة وهي شفرة, تتجمع عناصرها العرفية على مدار(تاريخ) الجماعة من خلال تراثها الإبداعي(الثقافة) وطابع حياتها بالإضافة إلى الشفرة[1] فالهوية بهذا المفهوم هي التي تحدد الوجود للفرد في المجتمع وتحدد له الانتماء وتشعره بالارتباط في علاقة متينة بمجتمعه وتزرع فيه الدفاع عن هذا الرابط الذي تأصل في عمقه الوجداني والمجتمعي والثقافي, وكل هذا يمنحه الشعور بالمسؤولية عن هوية المجتمع وأنماط تراثه المادي والروحي, فالشعور بالهوية يكون ضمن سياق تفاعل الذات بمحيطها العائلي والاجتماعي وارتباطه العقائدي والإيديولوجي داخل الثقافة العامة التي ترسم مجتمعا من المجتمعات [2]

فالهوية إذا تستمد ملامح قوتها من ثقافة المجتمع على اعتبار أن الثقافة تشكل المجموع المنسجم والمستمر كالمعاني والرموز المكتسبة المشتركة التي تحمل الجماعة على توصيلها وإعادة إنتاجها من خلال مختلف القنوات التي تنسجها من أجل هذه الغاية[3] فسيرورة المجتمع وديمومته سيستمدها من الهوية التي بدورها تشكل وتطبع وتستمد قوتها من القيم الثقافية التي نسجها المجتمع لنفسه.

فتشكل الثقافة التي يعمل المجتمع على إنتاجها والهوية الجماعية التي تترتب عنها وتتغدى منها, سلطة لا متناهية الحدود على اعتبار أنها هي التي تزود أفراد الجماعة بعناصر هويتهم, من هنا يأتي مصير استلاب الذات ، ذات عملية التنشئة والتكوين في علاقتها بالمجتمع والثقافة والهوية, ولذلك تتقدم الهوية سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة كحق للصراعات وتاريخية بين المجمعات.... فالهوية ببساطة عبارة عن مركب من العناصر المرجعية المادية والإجتماعية والذاتية التي تسمح بتعرف خاص للفاعل الإجتماعي وطالما أنها مركب من عناصر فهي بالضرورة متغيرة في الوقت ذاته الذي يتميز فيه بثبات معين فالهوية منظور إليها سوسيولوجيا مغير من المتغيرات فالغربي

[1] محمد بوراكو: مرجع سابق, ص86

[2] نفس المرجع, ص87

[3] نفس المرجع, ص91

اليوم ليس هو الغربي قبل ألف عام ولكنه [1] يبقى عربي. يطلق مفهوم الهوية على نسق المعايير التي يعرف بها الفرد ويعترف , وينسحب ذلك على هوية الجماعة والمجتمع والثقافة, ويعد كذلك من أكثر المفاهيم تغلغلا في حياتنا الثقافية والإجتماعية اليومية ومن أكثرها شيوعا واستخداما.... فالهوية ليست كيانا يعطى دفعة واحدة والى الأبد , إنها حقيقة تولد وتنمو , وتتكون وتتغير وتشيخ وتعاني من الأزمات الوجودية والاستلاب [2] لكلي يقف المجتمع مع ذاته سيحصل الاختلالات الواقعة فيه الأسباب والخلفيات, ومن ثم يضع الخطط والاستراتيجيات المناسبة التي رسم على ضوئها المناهج الملائمة لمعالجة الخلل أو التخلخل الاجتماعي الناجم عن الهشاشة الثقافية, فالتساؤلات الكثيرة اليوم التي تدور حول الهوية ترجع بالأساس إلى مسألة الثقافة نريد أن نرى الثقافة في كل مكان, فالهوية هي الحافز الرئيسي عند الأمم والشعوب للعمل والبناء وهي سبيل الوحدة والتعاضد على مستوى البناء الداخلي للمجتمعات والشعوب وأن أفول نجم الهوية أو التخلي عنها لورث المجتمع نمط من التقليد الأعمى لشعوب العالم وطرائقهم في الحياة[3] وما تعانيه المجتمعات النامية من تخلف وتخلخل اجتماعي وهشاشة ثقافية على مستوى الأبنية الكلية المشكلة لها ناتج عن أفول نجم الهوية فيها من خلال التخلي والابتعاد عن القيم الثقافية المشكلة لها والمعبرة عن وجودها, فالابتعاد عن القيم الدينية المتمثلة في الدين الإسلامي بالنسبة للمجتمع العربي , وعن قواعده وسماته المشرعة لنظام الحياة والمنظمة لها في علاقة البشر مع بعضهم البعض وعلاقة البشر بخالقهم, نجم عنه صراعات هامشية ليس لها عمق إنساني أي لا تتعارض مع العيش المشترك للجماعة الواحدة كما ان تثبيت القيم الثقافية المتمثلة في الدين واللغة يعزز الهوية الوطنية ويقويها والتي تظهر من خلال روح المواطنة في المجتمع, لأن المواطنة تقوم على عدة عناصر مثل الشعور بالهوية والتمتع بحقوق معينة وتحمل المسؤوليات ، والقيام بالواجبات ، والمشاركة في الشأن العام وتبني مجموعة قيم اجتماعية أساسية مشتركة [4]

---

[1] نفس المرجع, ص91

[2] إليكس ميكشيللي, ترجمة علي وطفة, الهوية, دار الوسيم للخدمات الطباعية, دمشقّ, سوريا, 1993, ص 07

[3] محمد بوراكو, مرجع سابق, ص11

[4] العياشي عنصر , مرجع سابق,ص18.

فلا شك في وجود علاقة جدلية بين القيم الثقافية والهوية التي تتغذى من هذه القيم والحافظ عليها والمحضن الأساس الذي يحافظ على الكل وهو مؤسسات التنشئة الاجتماعية وفي مقدمتها الأسرة والمدرسة, حتى يحافظ المجتمع على هويته بمختلف أبعادها ومركباتها في ظل اتساع المد العولمي عليه أن يراجع مناهجه وبرامجه التنشئوية كآلية للتمكن من العيش المشترك بلا خوف و دون ذوبان واضمحلال في ثقافة الغالب الذي يتصيد الفرص تحت مسميات عدة للطمس والقضاء على كل مقومات الهوية الوطنية للمجتمعات المحلية, وما تعيشه من حروب وصراعات على مستوى الأبنية السياسية والإقتصادية واضح وجلي الغاية والهدف .

خاتـــمة:

حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية المتواضعة أن نبرز أهمية تثبيت القيم الثقافية المحلية التي تميز مجتمعنا من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية وفي مقدمتها المحضن الأول للفرد وهو الأسرة ودورها في تعزيز الهوية الوطنية, في ظل العولمة والتغيرات الحاصلة من لحظة إلى أخرى وموقعنا من ذلك وخلصنا أولا إلى أن الأسرة هي إنتاج إجتماعي يعكس صورة المجتمع الذي تظهر وتتطور فيه وخلصنا أولا إلى أن الأسرة هي إنتاج إجتماعي يعكس صورة المجتمع الذي تظهر وتتطور فيه , كما أنها كذلك لها دور في تبني آليات وكيفيات معاصرة في تنشئة الأفراد وترسيخ قيم الثقافة الأصيلة التي تعبر عن الهوية الوطنية بكل أبعادها ومركباتها وخصوصياتها.

وتوصلنا إلى ان القيم الثقافية هي التي تحفظ الفرد من الدوبان في الثقافات الأخرى بل هو من يؤثر بثقافته في الآخر ويظهر هويته وأبعادها الاجتماعية والثقافية والروحية, كما تعتبر القيم الثقافية كذلك الموجه والضابط لسلوك الفرد في المجتمع ، والمحافظة عليها تمكن المجتمع من المحافظة والرقي على بنيته الثقافية التي بدورها تمنع التصدع الذي قد يصيب البنية الإجتماعية في عمومها وخلصنا إلى أن العولمة والثقافية وتهديداتها وآثارها السلبية المتمثلة في تهديد الخصوصية الثقافية وهويات البلدان الضعيفة بخاصة .

كما إستنتجنا أن الهوية هي التي تحدد الوجود للفرد وتحدد له الإنتماء وتشعره بالإرتباط في علاقة متينة بمجتمعه وتزرع فيه الدفاع عن هذا الرباط, فالعولمة

الثقافية واقع يريد بسط سيطرته بالهيمنة على الخصوصيات الثقافية لمجتمعاتنا المحلية وما علينا إلا تفعيل مؤسسات التنشئة الإجتماعية والإرتكاز على تثبيت القيم الثقافية لمجتمعنا فهي الرافد الأساسي والمركزي الذي يضمن البقاء والإستمرارية, وحتى الهيمنة في المستقبل .

المراجع :

1. كلثوم بيبيمون: الأسرة كمؤسسة للتنشئة الإجتماعية بين ظرورة التأصيل وأولويات التغيير, مجلة العلوم الإنسانية والعدد 29 , جامعة منتوري قسنطينة جوان 2008.

2. مسعودة كسال: مفهوم الأسرة في المجمع الجزائري ما بين 1980-1990 ,مجلة علم الإجتماع العدد 5, جامعة الجزائر -192-1993.

3. العياشي عنصر: الأسرة في الوطن العربي آفاق التحول من الابوية الى الشراكة , مجلة عالم الفكر, المجلد 36, العدد 3 يناير – مارس2008.

4. محمد بوراكو: القيم الثقافية وإشكالية الهوية الوطنية في الجزائر بعد الإستقلال, اطروحة دكتوراه غير منشورة, جامعة الجزائر, 2003/2002.

5.محمد عبد الرزاق ابراهيم: هاني محمد يونس موسى: القيم لدى شباب الجامعة في مصر ومتغيرات القرن 21 , بحث مقدم في كلية التربية جامعة بنها , مصر, د.ت.

6. عبد الغاني عماد: سوسيولوجيا الثقافة ,مركز دراسات الوحدة العربية بيروت, لبنان, 2006.

7. إليكس ميكشيللي, ترجمة: علي وطفة, الهوية, دار الوسيم للخدمات الطباعية, دمشق ,1993.

8. هربرت شيلر: ترجمة روجيه سمعان عبد المسيح, الإتصال والهوية الثقافية , الهيئة المصرية العامة للكتاب, مصر 2007.

9. العياشي عنصر: اشكالية المواطنة والعولمة , دفاتر البحوث العلمية, العدد4, 2014.

10. عمر بوساحة : العولمة الثقافية المفهوم والتحديات, أشرعة النور, الجزائر 2012.